(القسم الأول)

سياحة في الفكر الشعبي

باسم عبد الحميد حمودي

"الحكايات الخرافية والأساطير والمعتقدات الشعبية تعد بكل تأكيد تأملات الشعب الحية، حينما كان الإنسان يحلم لأنه لم يكن يعرف وحينما كان الإنسان يعتقد لأنه لم يكن يرى أما الآن فقد رأى وسمع وقرأ وجرب مختبرياً وتلاشت كل الأوهام . إلا القليل منها . وباتت الحقيقة أساس تصرفات الإنسان ووعيه" هيردر

الفكر الشعبي عالم خاص ينساق مع قانونه الشعبي المتوارث ولا ينصاع لصوت العلم أو الحقيقية بل يتوارثه كل جيل عن الجيل الذي سبقه مؤمنين أو ساخرين ولكنهم ينحازون إليه والى طرائقه وأساليبه بوعي أو باتفاق متوازن فمن منا لا يؤمن بالعين الحاسدة ومن منا لا ينتظر الغائب الحبيب ويقلق عليه؟ ابتدعت المجتمعات الأولى . البدائية . معتقداتها الشعبية لحاجتها الروحية إليها ولانها لابد ان تضع قوانينها الخاصة التي تحميها من الشر وتجلب إليها الخير.

يقول العرب القدامى (ما فال فلان) أي لم يفشل في غايته ومقصده، وفي اللغة (فال رأيه فيلا وفيلولة أي ضعف واخطأ) وتقول العرب عند مرور ضيف بمنزل احدهم فيدعونه للطعام إذا كان موضوعاً (اقرب لا ترد الفال) أي تفضل ولا ترد التوقع الحسن.

كف فاطمة

كل قوم من الأقوام يخشى الحسد والعين الشريرة لذا فان سكان المغرب الكبير يستعينون بكف فاطمة (وهو عبارة عن شكل يد ذات خمس أصابع ممدودة) لدرء الحسد اما سكان مدينة (عانة) فيستخدمون نباتاً يشبه الكف يدعونه (كف فاطمة) أيضاً لابعاد الحسد وجلباً للخير، ذلك ما يورده دنيس بولم في (الحضارات الافريقية) وعبد العزيز العاني في (المدينة المفرقة) ونجد ان هذه الكف توضع اليوم على واجهات المنازل على شكل تميمة خزفية دفعا للشر وتفاؤلاً بسعادة البيت.

عين الحسود

وعين الحسود منها خوف شديد عند كل الناس على الرغم من ادعائهم عكس ذلك احياناً وقد رأيت وانا جالس في مقهى على شارع الدغارة العام عندما كنت اعمل مديراً لثانويتها في الستينيات رجلاً يستعيذ الناس من شر عينه الوحيدة يدعى (ن) وكان جالساً على بعد كرسيين من الشارع، وقد جلس جواري احد المدرسين وكان يرتدي (بدلة) جديدة فنظر إليه (ن) نظرة استعذت منها فانكسر كوب الشاي بيد ذلك المدرس البغدادي ونزل الشاي على بنطلونه وكان حاراً، فقام متذمرا وفي ذات الوقت جاء رجل من آل (طقطق) وهم عائلة مشهورة بسياراتها التي تسير على خط الدغارة . الديوانية وكان يملك سيارة حديثة اوقفها على مبعدة من المقهى ثم جاء من خلف (ن) واشعل جزءاً من يشماغه بقداحة وهو يصرخ (تلفتنا تلف.. يومية السيارة واكفة) فقام (ن) شاتماً صارخاً وتدخل الناس لفك النزاع وكانت هذه الممارسة الوقائية في محاولة حرق (يشماغ) الرجل تعني محاولة لإبعاد شرور عينه!

وتقول حكاية بولندية عن رجل يدعي (سلاف) ابتلي بعينه الشريرة فاضطر الى ان يفقأ عينيه ويصاب بالعمى حتى لا يصيب أطفاله بأذى ويروي ذلك الكاتب ويسكي في كتابه عن الفولكلور البولندي وقد ورد في احد التسجيلات الفولكلورية عن السحرة في احدى المدن الافريقية ويدعى الزانار (Elzannar) انه قتل عن طريق الفن السحري بعينه ما لا يقل عن ثمانين شخصاً خلال سنتين، وفي اسكتلندا كان الاعتقاد قديماً بخطر العين الشريرة شديداً في القرن الثامن عشر إلا انه ضعف بعد ذلك، وسكان ايطاليا يسمون صاحب العين الحسودة (jettator) وهذا الإنسان عندهم مخيف جداً يتجنب الناس مجالسته أو الركون إليه ويطلق لقب ذوي الاعين الشريرة على كل السحرة والعرافين في غربي الهند وفي تركيا تكتب آيات من القرآن الكريم خارج الدار وعلى حائطه أو بابه لتحفظ البيت وسكانه من العين، وما زال هذا المعتقد سائداً في العديد من شعوب الأرض وقد خصصت له الانسكلوبيديا البريطانية بحثاً كاملاً عرضت فيه لمختلف آراء الشعوب في هذه المسألة.

بازبند

من يخف سحر العين الشريرة قديماً في العراق وايران يخط بازبنداً وهي تسمية فارسية للحجاب ويربط بجلد مصنوع على ذراع الشخص والبازبند على ما يروى الباحث جميل الجبوري على أنواع ولكل نوع ثمن فبازبند الدعاء نوع وبازبند القوة نوع آخر وهناك أنواع تحتوي على (عظم صقر) أو لـ(عصفور مستحلب) مستخرج من بطن حية من قبل الحواة وهو ثمين ويعتقدون انه لا يصح لرد العين الشريرة بل ان من يضعه على زنده يعالج عنده العقم والخوف وربما كان ذلك لأنه يعطيه شحنة نفسية تساعده على التحول وعدم الخوف أو الاستقرار النفسي.

صوت ميكائيل

ويعتقد البدو ان صوت الرعد هو صوت ميكائيل وهو يقود الغيم ويمنع المطر من النزول في الأماكن التي لا يريد لها الخير لذلك فهم يجهدون أنفسهم بالدعاء لاستنزال المطر في موسمه في اراضيهم لكي يعم خيره حلالهم، لكن الايروكويان (وهم قبيلة من قبائل الهنود الحمر) يقلبون الأرض استعداداً لموسم الزرع إذا سمعوا صوت الرعد أول الربيع اعتقادا منهم ان الرعد ينقذ زراعتهم من الموات وأولادهم من الضياع.

سبعة

وللمواسم لدى كل أهل الأرض اشكالها الاجتماعية ولكن للأرقام سحرها الخاص وصورتها الاجتماعية فالبدوي يعتقد ان اليوم السابع والعشرين هو خير أيام الشهر للغزو قديماً وان أيام الخميس والثلاثاء والاثنين من كل أسبوع من أيام الخير والفأل الحسن وللرقم (سبعة) سحره لدى أهل العروسين في كل مكان تقريباً لكن هذا الرقم لا يلفظ عند حساب كيل القمح في منطقة جبل القلمون فيقولون عند الحساب (سمحه) بدلا منه لأنهم يتشاءمون من ذكره، وفي اليوم الأربعين من الميلاد يخرج أهل عانة الطفل من داره بعد غسله وخلفه احدى النساء تحمل طستاً فيه ماء ملئ بالشنان وتسير خلفها الأم خوفاً من (الجبسة)، وفي كوريا وفي قرية (كيونفسانغ نامدو) يمارس الناس في اليوم السابع للولادة عادة وضع الأطفال في صندوق أو في حاوية مماثلة وتركهم في الحديقة الخلفية أو وضعهم على رفوف لمدة قصيرة فهم يعتقدون انهم بذلك يساعدون الأطفال على ان يحيوا طويلاً وان ينجوا من الأرواح الشريرة، ويعتقد الازيدية ان الله تعالى خلق الملائكة السبعة من نوره، فيوم الأحد خلق الملاك (ملك) شمس الدين وهو عزرائيل عندهم ويوم الاثنين خلق الملاك (ملك) دردائيل وهو ملك فخر الدين ويعني القمر ويوم ملك ميخائيل وهو أما دين ويوم الأربعاء خلق ملك إسرائيل وهو طاووس ملك، ويوم الخميس خلق زرزائيل وهو سجادين ويوم الجمعة خلق شمخائيل الدين ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو يزيد كما نقل عنهم القاضي زهير كاظم عبود في كتابه (لمحات عن الازيدية) وفي يوم (السبعة) من الولادة تؤخذ (النفسى) وهي الأم إلى الحمام مع الولد والقابلة وأهل البيت ويكسر البيض في باب الحمام وتكثر الهلاهل والغناء في الموصل.

وجاء في كتب السير ان هاجر أم النبي اسماعيل فتشت عن الماء لولدها سبع مرات وفي المرة السابعة وجدته يضرب برجليه والماء ينبع من تحتهما فقامت بتسوية التراب خوف تسرب الماء وقالت (زم الماء زم) ولهذا سميت البئر (بئر زمزم) التي يستقي منها حجاج بيت الله الحرام.

ويقولون عن الضيف الثقيل (سبع حجارات وراك) أو يرمونها خلفه فعلاً حتى لا يعود، وقد كانت جسور العراق زمن العثمانيين والحكم الوطني الذي بدأ عام ١٩٢١ جسورا خشبية وفيها مسامير وكان من جملة معتقدات النساء اللواتي لا يعيش لهن مولود أنه إذا عاش لها طفل ولم يصب بأذى مدة عام فان عليها ان تقطع من كل جسر مساراً حتى يكون مجموعها سبعة مسامير وتعطيها الصائغ فيذيبها ويعمل منها فردة خلخال حديدي تضعه في ساقها اليمنى وهناك من النساء قديماً من ينذرن نذراً يردن تحقيقه سريعاً ولو تحقق نذرهن بحصولهن على الشيء المطلوب فانهن ينفذن عادة (النذر المستعجل) وهذا النذر يتكون من سبعة أرغفة من الخبز توزعها المرأة الناذرة حال اخراجها من التنور ويجوز طلاء الأرغفة بقليل من الدهن أو الدبس أو بالاثنين معاً.. للتحلية.

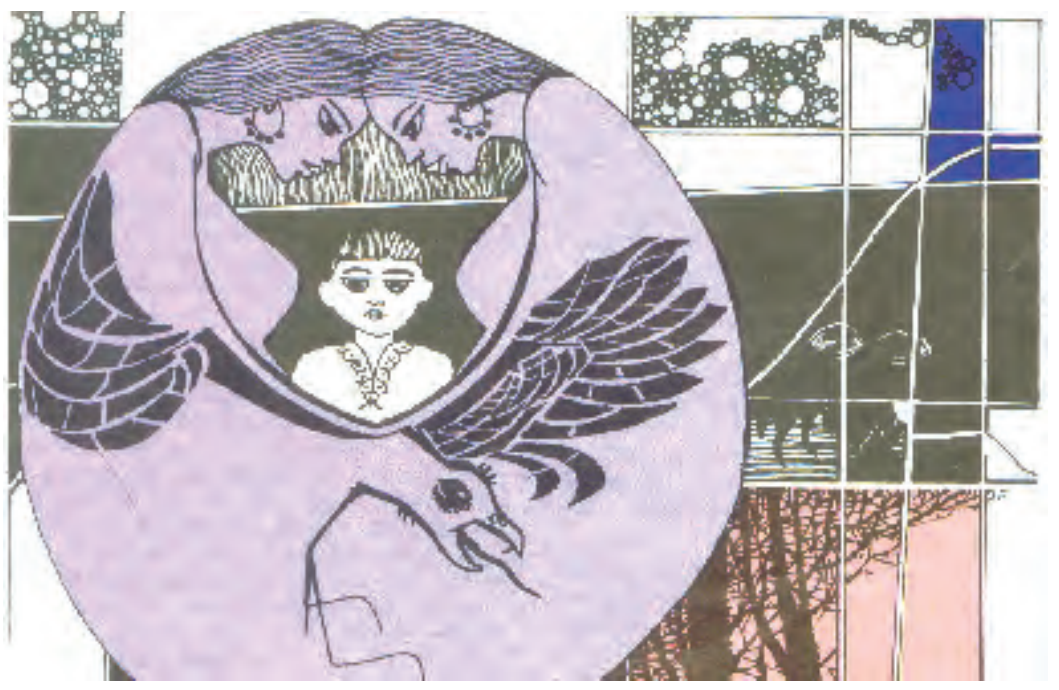

في حضارة العراق ووحدته

من المحرر

تظل مسألة التنوع الأثني داخل المجتمع العراقي قضية تشغل بال الكثير من المفكرين والباحثين باعتبارها قضية تجمع و (توحد) و(تقوي) بدلاً من تفرق وتضعف، ذلك ان هذا التلاقح الاثني والمعتقدي الديني والاجتماعي والسياسي مسألة وجدت منذ ان ظهر العراق اقليماً حضارياً حلت به الديانات السماوية وغيرها ونزلت به اقوام شتى اجتمعت من اجل بناء حضارة تتميز بتراثها وغناها الفكري والسيوسولجي.

منذ ان كان السومريون كانت اقوام أخرى في الشمال، ومنذ ان توحدت آيسن ولارسا وظهرت دولة بابل ظهر الأموريون والحوريون ثم دولة اشور في شمالي سامراء، وشيئاً فشيئاً عرف العراقيون الدولة الموحدة ثم تشظوا بعد هذا دويلات مدن وأقاليم وعادوا للقاء عبر الراشدين والأمويين والعباسيين وصولاً إلى الدولة الحديثة وفي كل فترة يطل عهد ذهبي ويكون الحاكم فيه قريباً من الشعب أو بعيداً عنه ويظل الشعب في الحالتين مركز استقطاب اساسيا للتطور الحضاري وللفعل الثقافي المتجدد الذي يبني ويعمر ويغني ويحلم ويقيم طقوسه بقدرما يظلم الحاكم ويؤذي ويسوق إلى محرقة الحرب أو يتصدى لثورات جماهيرية تقوم احتجاجاً على ظلم وسعياً لتحقيق حق.

وعبر كل هذه الأزمنة يظل العراقي إنسانا قادراً على القيام بعد كبوة وعلى العطاء بعد اجداب على صعيد البناء والأدب والعلوم وقد حان الوقت لأن ندرس عراقية العراقي باعتبارها المثل الوحيد لفهم هذا المجتمع العجائبي غزير النتاج غزارة عطاء أرضه وغناها.

ومن هذا المنطلق ندعو لدراسة المأثورات الشعبية العراقية بتفاصيلها الثرة في دورة الحياة والأزياء والمعتقد الشعبي والألحان والاغاني والمعمار والحكايات لنجد ذلك التوافق التاريخي بين أثنيتها وتلاقح الكيانات العراقية الشعبية فيما بينها مما انتج حضارة عراقية واحدة لا حضارات متقابلة وبهذا كانت البنية الاجتماعية والثقافية العراقية ولا تزال وستظل أبداً.. ما دام العراق.

إصدارات

مجلة التراث الشعبي

عدد خاص بكتابات الرواد

صادق مشعل

العدد الجديد من المجلة الفولكلورية الرائدة، مجلة (التراث الشعبي) وهو العدد الثالث لهذا العام جاء عددا استذكارياً خاصاً بكتابات رواد التراث الشعبي العراقي.

وقد تصدرت العدد افتتاحية تذكر قراء الثقافة الشعبية بعيد ميلاد المجلة التي صدرت في الأول من أيلول ١٩٦٣ كأقدم مجلة فولكلورية باللغة العربية اصدرتها مجموعة من المثقفين العراقيين على حسابهم الخاص امثال لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي (أول رئيس تحرير لها) ود. مصطفى جواد وعبد الحميد العلوجي وعزيز الحجية، وكان من مختارات هذا العدد كتابات الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ جلال الحنفي والشيخ محمد هادي الاميني وجعفر الخليلي وجعفر الخياط وسواهم على الرغم من أهمية هذا العدد إلا ان هيئة التحرير أغفلت إسهامات بعض الرواد أمثال المحامي محمد العبطة والمحامي حسين علي الحاج حسن وهما رئيسا تحرير سابقان للمجلة في فترة إصدارها الأهلي ولهما دراسات رائدة هما والباحث عبد اللطيف الدليشي والفنان ليث الخفاف والقاص ادمون صبري والباحث د.وليد الجادر والرسام ضياء العزاوي في وقت نشرت فيه مقالات لكتاب لم يسهموا بجد في الدراسة الشعبية بل كانت دراساتهم تراثية صرفة مثل صاحب مقالة (الفكاهة في العصر العباسي) ومقالة أخرى في الدراسات المعمارية الحديثة ولعل هيئة التحرير الموقرة ستلتفت إلى هؤلاء وسواهم ممن أدوا دوراً في خدمة الفولكلور العراقي بينهم جميل الجبوري ومثري العاني ود.سامي سعيد الاحمد وسواهم

نتمنى لمجلتنا العزيزة النجاح الدائم وأن تعود شهرية وقد الحقت بها سلسة دراسات فولكلورية وأن تتوافر فيها ملخصات بالكوردية والتركمانية والسريانية والانكليزية والفرنسية فقد توافر بعض هذه اللغات أيام طباعتها على يد الرواد الأوائل.

من الطقوس السحرية للماء

د.قيس كاظم الجنابي

الماء من موه، وأصله ماه، وجمعه أمواه في القلة، ومياه في الكثرة، وماه الشيء بالشيء موهاً، أي خلطه. وفي الحديث: امكم هاجر يا بني ماء السماء، يريد العرب لانهم كانوا يتبعوا قطر السماء فينزلون حيث كان. جاء في التنزيل (وجعلنا من الماء كل شيء حي)(الانبياء/٣٠). والماء مادة الحياة للإنسان والنبات والحيوان، ونسغ مفاصلها على وجه الطبيعة لذا نال أهمية فائقة من لدن الناس، لانه أساس كل شيء حي حتى ان بعض الأقوام البدائية في الهند عبدوا الماء، يرون ان الماء ملك ومعه ملائكة، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء، فإذا أراد شخص ما عبادته تجرد وستر عورته، ثم دخل في الماء حتى وصل إلى حلقه فيقيم ساعة أو ساعتين أو أكثر ويأخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً وهو يلقي فيه بعضه بعد بعض وهو يسبح ويقرأ، فإذا أراد الانصراف حرك الماء بيده ثم أخذه منه فيقطر به رأسه وسائر جسده خارجاً ثم سجد وانصرف، وفي مصر ربة للماء اسمها (قبحت) وكان الإله (عشتر) يُدعى واهب الماء، لانه سقى النخيل وجنى الثمار، واحدث الخصب. فهو بالتالي اله مقدس لان الماء مطهر لكل شيء، وبه يتم الاغتسال والطهور وتمارس الكثير من الطقوس، حتى ان الصابئة يسمون المسح بالماء (رشامة) أي رسامة، وهي علامة الصابئ، ورش الماء بمثابة التطهير عند الفرس لأنه يطهر الابدان من دخان المواقد في الديانة المجوسية، ويعتقد العرب ان للماء شيطاناً اسمه الولهان يولع به الناس لكثرة استعماله.

وبايعت نساء قريش رسول الله(ص) بعد فتح مكة، على جفنة ماء، فغمسن ايديهن في الماء، بينما كان يصافح الرجال، كنوع من الخصب، والاهتمام بدور المرأة في بث الحياة. وفي حلف الفضول عمدوا إلى ماء من ماء زمزم، فجعلوه في جفنه ثم غمسوا به اركان البيت الحرام، وجمعوا ماء الغسيل في تلك الجفنة، ثم اتوا به فشربوه، وبذلك تم عقد حلف الفضول وصار واجباً على المتحالفين كنوع من الطقس السحري الذي يجعل الماء مقدساً بعد تماسه بجدران بيت الله الحرام. وكان من عادتهم نضح الماء وراء المسافر بطريقة طقسية حتى ان عمر بن كلثوم قال: أني لأكره ان آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح الماء إذا انصرفت عنه، فامر ملك المناذرة بان لا ينضح الماء في أثره، وذلك لدفع الشر مع المسافر، وتيمنا بعودته سالماً لاهله، فضلاً عن كونهم يسفحون الماء لاغراض أخرى كالكرم والتيمن بالخير والنصر، فقد سفح سلمة بن خالد، وهو من جراري الجيوش، الماء حين قاد قومه في يوم كاظمة فسمي (السفاح التغلبي)، لأنه سفح المزادي (صب المزادة) في ذلك اليوم حتى يقاتل قومه قتال المستميت. ولعل ذلك جزء من طقوس الخصب والنصر وللاستحواذ على الطاقة السحرية في الماء التي تنمي قوة النفوس، وترفع من المعنويات، وتثير الرجال، لما للماء من أهمية مستفيضة في نفوس الاعراب، لان في الماء مصدر راحة وبركة واطمئنان لهذا كانوا يصبونه على القبور، في طقس سحري (تشاكلي) يحاكي غسل وتطهير الجسد من الذنوب والادران، فكانوا يدعون للميت بان يسقيه الغمام (الغيث)، وينضح الماء على قبره، وخاصة إذا كان الرجل كريماً، او مقداماً، قالت الخنساء:

سقياً لقبرك من قبر ولا برحت

ستوديو (ثقافة شعبية)

زي من قبيلة شمر

حسناء وهاون ومصباح وسرج فارس

حسن ونعيمة.. وصاحب الارغول

تعويذة من تراث الهنود الحمر في امريكا الشمالية